

مستخلص المبحث :

يقدم المبحث التالي القضايا ذات الاهتمام الأدبي النقدي، والثقافي عند بنت الشاطىء بالعرض والتحليل.

وتناول الباحث في بداية المبحث أبرز السمات الفنية للمقال والناقد.

وجاءت القضايا محل البحث كالتالي :

١. كبار الأدباء واهتماماتهم الأدبية.

٢. بنت الشاطىء والمعارك الأدبية.

٣- بحث عن ولادة بنت المستكفي.

Abstract:

The following topic presents issues of literary and cultural interest when the beach is built by presentation and analysis. At the beginning of the study, the researcher dealt with the most important technical features of the article and the criti

1. Senior writers and literary interests.

2. 2.Bint El- Shati and literary battles.

3. 3 .walada bint al-Mustaqafi search.

مقدمة :

دراسة المقالات الأدبية عند بنت الشاطئ من الأهمية بمكان؛ حيث إن بنت الشاطئ نموذج للأدبية الواعية بالقضايا الأدبية، كما أنها شاهدة عصر على حقبة زمنية طويلة من أهم الحقب في تاريخ مصر الحديث فقد عصرت كبار الأدباء أمثال العقاد وطه حسين فتحي رضوان... وغيرهم فنهلنا من علمهم تارة، وعارضتهم تارات خرى، فكان لها سجلا حافلا من المعارك الأدبية، التزمت فيه بالإطار الموضوعي للمناقشة والجدال، فلم يكن منها إسراف أو تطاول، ولم يكن منها توان أو تكاسل للدفاع عن الحق، ورغم ذلك جاء نقدها قويا معتمدا على المنطق والأدلة المقنعة.

وقد اعتنى بكتابات بنت الشاطئ عدد كبير من الباحثين، وقد اهتم الباحث سعد محمد حسن المكاوي بدراسة عن مقالات بنت الشاطئ بعنوان: " فن المقال عند بنت الشاطئ دراسة تحليلية نقدية" في كلية اللغة العربية قسم النقد والبلاغة، جامعة الأزهر، سنة ٢٠٠٤م، وربما كانت تلك الدراسة أكثر الدراسات اقترابًا من هذا البحث، ولكن هذا البحث كان بعيدا كل البعد عما تناوله البحث السابق فقد عرض الباحث سعد مكاوي مقالاته عن بنت الشاطئ عموما أما البحث الحالي اهتم بمقالاتها في الأهرام فقط. ولم يكن تقسيم البحث عنده إلى قضايا ولكن درس كل مقال على حدا.

ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي في دراسة المقالات، ويقوم هذا المنهج على تصنيف المادة العلمية - موضوع البحث - إلى موضوعات ثم القيام بتحليل وقراءة نتائج هذا التصنيف، من خلال المنهج الفني والمنهج الأسلوبي لاستكشاف بعض الجوانب الجمالية عند الكاتبة.

القضايا الأدبية عند بنت الشاطئ

قبل أن تكون بنت الشاطئ كاتبة صحفية، تكتب في موضوعات متنوعة تشمل كل مجالات الحياة، فإن علمها الفيض ينبثق من منبع أدبي، يتجسد بدايته في تحقيق

بنت الشاطئ لرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، فهي أدبية يصدر المقال عنها بأسلوب أدبي يتسم بالسهولة والمرونة.

والمقال النقدي هو "الذي يحلل مذهباً أدبياً تحليلاً واعياً أو ينقحه معتمداً في ذلك على النظريات الأدبية السائدة، وتتوقف قدرة الكاتب على تذوقه للعمل الأدبي وتعليل أحكامه وتفسيرها"^(١).

أبرز سمات المقال النقدي:

المقال النقدي في حقيقته " لون من المقال العلمي؛ لأنه يخضع لمقاييس علمية دقيقة إلى حد ما، وإن اختلفت مذاهب الأدباء والنقاد في مقاييس النقد"^(٢)، ويتبع فيه الناقد الأسلوب الفني، ونجد فيه الدهشة والمتعة والفكاهة، وكل ما يبعد عن أساليب الصحافة الإخبارية، وهو "يعتمد على الظرف والطرافة، والأسلوب التهكمي الذي يجعل القارئ يضحك من تناقض المواقف أو غرابة التطرفات"^(٣)، ويتميز المقال النقدي بأنه محدد لموضوع معين " فإن قصر حجمه لا يسمح لكاتبه بالخروج من الموضوع إلى آخر، أو عرض المشاكل دون الانتهاء من وضع حلول لها، ولا يستطيع أحد أن يكتب فيه باختصار إلا إذا كانت أحكامه محدودة، يستطيع أن يعبر عنها بوضوح"^(٤).

(١) السيد أبو ذكري: المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٧٧.

(٢) عبد القادر رزق الطويل: المقالة في أدب العقاد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ص ٢٣٩.

(٣) صابر حارص: فن كتابة المقال العمودي في الصحافة العربية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٥٦.

(٤) أحمد أمين: النقد الأدبي في جزأين، جزؤه الأول في أصول النقد ومبادئه، وجزؤه الثاني في تاريخه عند الأفرنج والعرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، ص ١٠٠.

إذن المقال الأدبي النقدي ليس كغيره من المقالات، من الممكن التداخل فيه مع موضوعات أخرى، أو أن يتفرع الأديب من الموضوع الرئيس إلى موضوعات أخرى دون الوصول لنتيجة فيما يقدمه، فمن المهم للأديب الناقد أن يحكم إغلاق النقاط التي تناولها في مقاله القطعة تلو الأخرى؛ لأن طبيعة الموضوع تفرض عليه توضيح النتائج.

أبرز سمات الناقد:

يجب أن يكون الناقد متعاطفًا مع من ينفده، فيتجاهل أحقادهم، وأن يسمح بأقصى ما يستطيع، بالدفاع الطيب والخلق السامي، وأن يسعى بكل جهده في أن يحب من يكتب عنه.

وكذلك يجب عليه أن يكتب طبقًا لمبادئ لا لمجرد الهوى؛ فالنقد الأدبي الذي يمليه الهوى الشخصي والكره الذاتي هو نوع وضيع من النقد، فعلى الناقد أن يكون عالمًا بالمثل العليا في الفكرة والعاطفة، وعلى الناقد أن يكون عادلًا تمام العدل، واسع الصدر أمام التجديد، والتجديد ليس ضروريًا أن يكون استكشافًا لمعنى جديد، بل هو أيضا تعبير صادق عن ذاتية الكاتب وشخصيته، فعلى الناقد أن يعترف بهذه الشخصية الخاصة^(١)، وبذلك لا بد للناقد أن يكون ملهمًا بما يقرأ، مطلعًا ثقافيًا على ما سينقد؛ حتى لا تصدر أحكامه باندفاع دون دراسة وبحس. وتمتلك بنت الشاطئ مجموعة قصصية بعنوان رجعة فرعون ١٩٤٩م والتي تعبر عن رفض الحياة في مصر بأوضاعها قبل ثورة ١٩٥٢، وكتابتها عن أبي العلاء المعري صنعت لها معاشرة للأجواء النقدية في مراحل تكوينها الثقافي .

(١) أحمد أمين: النقد الأدبي في جزأين، جزؤه الأول في أصول النقد ومبادئه، وجزؤه الثاني في تاريخه عند الأفرنج والعرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م،

ومن أبرز المقالات النقدية والثقافية عند عائشة عبد الرحمن:

١. الثورة والثقافة (٣) الزاد الثقافى للقاعدة الشعبية المتعلمة ١٩٦٥م / ٨/٢
 ٢. الثورة والثقافة وجهة نظر أخرى ١٩٦٥م / ٨/٦
 ٣. الثورة والثقافة (٤) الأزهر والجامعة والمناخ الفكرى لمرحلة التحفيز الثورى ١٩٦٥م / ٨/٢٧
 ٤. الثورة والثقافة (٥) أصالة الوعى الشعبى ١٩٦٥م / ٩/٣
 ٥. مشكلات الكتاب العربى (٢) ١٩٦٦م / ١/٢٨
 ٦. مشكلات الكتاب العربى (٣) الفكر القومى والتيارات الوافدة ١٩٦٦م / ٢/ ١٨
 ٧. أفكار الكبار على معايير الانتقال بين الأمس واليوم ١٩٨٠م / ٢/ ١
 ٨. (دعوة.... وطيف) ١٩٨٠م / ١٢ / ٢٢ م
 ٩. الشاعر والملهمة فى رؤية جديدة (قالوا.... وقال) ١٩٨١م / ١/ ٥
 ١٠. الشاعر والملهمة فى رؤية جديدة فى ديوان شعره ١٩٨١م / ١/ ١٢
 ١١. الشاعر والملهمة ١٩٨١م / ٢/ ٩
- أ- كبار الأدباء واهتماماتهم الأدبية:**

تقدم فيه بنت الشاطىء تحليلاً لكتاب (أفكار الكبار) للكاتب فتحى رضوان، والذي تحدث فيه عن الكتاب (يحيى حقى - محمد عبد الله - ومحمود شاكِر - طه حسين - ومحمد كامل حسين - ومحمد صبرى السريونى - زكى مبارك).

وتبدأ بنت الشاطىء المقال بتساؤل عن سبب إيثار الأربعة الكبار (طه، وكامل، والسريونى، ومبارك) بتحيةة الوداع للراجلين، وتتساءل قائلة: "هل الذى كتبه عنهم من مألوف ما يلقى فى حفلات التأبين ويقال فى تحيات الوداع، أو تدعو مناسبة ما، فيكتب لمحض الوفاء والعرفان والجميل؟ كلا: وإنما هو موقف منهم. بما يمثلونه من

اتجاهات فكرية ومدارس ومذاهب ثقافية، وأنماط من الشخصيات والسلوك، وقضايا خطيرة معلقة، يراها ما تزال موضع نظر ودرس ومراجعة وحساب"^(١).

وكتبت بنت الشاطىء عن الأربعة الكبار وقسمت الحديث عنهم إلى قسمين: الأول: الحديث عن النشأة والمؤثرات الثقافية المختلفة في أفكارهم، والقسم الثاني: القضية التي كانت محط اهتمام كل منهم.

لعل طه حسين حظي ببدء الكلام في هذا الكتاب وذكر لحياته في صعيد مصر، وثقافته الفرنسية الجملة ذات المنابع اليونانية التي أثرت في مناحي تفكيره، وأدخل إلى مصر الثقافة اليونانية بحكم دراسته لها، وقد دافع عن تلك الثقافة متفقون آخرون، استغلوا زراعتها في مصر على يد طه حسين.

والقضية الأولى في كتاب (أفكار الكبار): تلك اليونانية التي زرعا طه حسين في مصر ولما كف عنها وجد من يتعلق بها.

والقضية الثانية قضية الشعر الجاهلي، والتي وضعت طه حسين في مواجهة تحقيقات النيابة عن تلك القضية، وثارَت الدنيا عليه ثم خمدت دون أن يتم الفصل في القضية الجدلية السابقة، فقالت عن ذلك بنت الشاطىء "وأخطر منها (قضية الشعر الجاهلي) التي طوتها التيارات السياسية بعد أن أصدر القضاء حكمه القانوني فيها، وتركها معلقة لم يحسمها علمياً وفكرياً فأعاد الأستاذ فتحي رضوان النظر فيها وقراءة ما تقصاه من مطوي وثائقها"^(٢).

وعن زكي مبارك قالت بنت الشاطىء فيه "تنازعته كذلك تيارات شتى، من جذوره الراسخة في ريف المنوفية، ومدرسته الإسلامية الأزهرية وجنديته في الحزب الوطني، ثم ثقافته الفرنسية الخصبية، ويحاول أن يلائم بين هذه المؤثرات، والجوانب. وكان

(١) مقال أفكار الكبار على معايير الانتقال بين الأمس واليوم ١ / ٢ / ١٩٨٠م.

(٢) المصدر السابق.

زكى مبارك مدافعاً قوياً عن الهوية المصرية ، بنخوة ريفي قح وحمية مصري غيور^(١).

وكانت قضيت زكى مبارك ومأساته الجحود والإحباط والمشكلات التي عاش فيها؛ بسبب آرائه القوية التي لم يكن يعد لها أي حساب؛ مما أضر به ضرراً كبيراً وصل إلى مصدر رزق أولاده "فأطبقت عليه غربته في أهله ووحشته في وطنه، وترنحت خطواته الأخيرة قبل الرحيل عن دنيا عاف قبحها وتمرد على أعرافها"^(٢). فقد كانت له آراء تزعج غيره من الأدباء، فقد دخل حرباً ضروساً ضد طه حسين كان هو الخاسر الوحيد فيها.

وتناول المقال كاتباً آخر وهو " محمد صبري السروبولي"، الذي ينظر لمصر داخل وطنها الكبير في الشرق الأفريقي، ويؤمن بعدم الفصل بين تاريخ مصر السياسي، والتاريخ الفكري، والأدبي لها، وكانت اهتماماته بدراسة الأعلام من شعراء العصر، وكتابه تستحق نظر واهتمام.

وكانت قضيته الانتماء إلى مدرسة لم يعرف منهجها وقيمتها إلا عدد قليل من المؤرخين، فعاش في غربة بعيداً عن أصحاب الفهم السطحي لعلمية التاريخ، المترفع عن التعمق في الدراسة والمعرفة فتقول في قضيته "فاغترب عن الكثرة التي ازدهاها غرور الفهم السطحي لعلمية التاريخ، فاستكبرت أن تقرأ في أدب المرحلة، فضلاً عن أن تعترف به في وثائقها التاريخية، وحجب عنها الصمم بكائيات الشعب إلا ما مسخه الطرب في أغنيات خليعة مبتذلة وغضت من شخصية المؤرخ وأسلوبه؛ لأن موضوعية التاريخ في منطقتها الساذج، تعني النقل السردي للوقائع والأحداث"^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) أفكار الكبار على معايير الانتقال بين الأمس واليوم، جريدة الأهرام ، ١ / ٢ / ١٩٨٠م.

(٣) المصدر السابق .

والكاتب الأخير في هذا المقال كان محمد كامل حسين، الذي تخصص في غير الدراسات الأدبية إلى غيرها من العلوم الكيميائية، ورغم ذلك فكان له إسهامات في الأدب العربي، وعاش في وحدة المعرفة والتفسير البيولوجي للتاريخ. وفي نهاية المقال أظهرت حزنها على ما لقيه الأساتذة الأصول من غربة وتهميش، وفي أماكنهم يجلس السطحيون والمتاجرون بالأفكار والأقلام، والمستوى الفكري والخلقي الضحل من إعلاميين لهم من الشهرة الكثير، ولهم من بضاعة طيبة القليل جدا "في رأي الأستاذ فتحي أن أصحاب مثل هذه الرسالة لا يكونون عادة ممن يجذبون إليهم أضواء الشهرة... فالشهرة والذيعوع في الأغلب الأعم وقف على السطحيين ذوي البريق من أهل القلم وسدنة الفن"^(١).

ويرى الباحث أن هدف المقال السابق إظهار ما يتعرض له الأدب الحقيقي والفكر الصحيح من تهميش وعدم رعاية من الناس، وتفضيل السطحيين على المثقفين لإدارة الأمور، وأخذ آرائهم، دون النظر لخطورة تلك الآراء على المجتمع المصري .

ب- بنت الشاطىء والمعارك الأدبية:

خاضت بنت الشاطىء معارك أدبية عديدة مع أساتذة الأدب في فترة ما بعد ثورة ١٩٥٢م، كانت صاحبة الرأي الحاد القوي المؤثر في نفوس المنافسين لها، وكانت تعتمد في تلك المعارك الأدبية على الإقناع بالأدلة، وباستخدام الألفاظ المناسبة للموقف والتراكيب المحكمة التي لا تسمح بالتأويل في اتجاهات متعددة. فقد كان لها معارك ضد آراء (لويس عوض، والعقاد، ومصطفى محمود، وغيرهم، والبحث الحالي سيهتم بتحليل معركتها الأدبية لآراء لويس عوض).

حاول لويس عوض أن يجعل المجتمع المصري فارغاً من الثقافة والفكر الثوري قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م ، وإرجاع الفضل للثورة في إيجاد مساحة من الحريات تسمح

(١) أفكار الكبار على معايير الانتقال بين الأمس واليوم، جريدة الأهرام ، ١ / ٢ / ١٩٨٠م.

بالنقد والتعبير عن الرأي، ولكنه وجد بنت الشاطىء بالمرصاد لهذا الرأي، ويرجع مخالفة بنت الشاطىء لـ لويس عوض فى الرأي؛ لأنها تنتمى للثقافة العربية الإسلامية والتي تختلف عن ثقافة لويس عوض الغربية.

وفى الإطار نفسه للمعركة الأدبية تحاول عائشة عبد الرحمن أن تقدم فى مقالاتها الست عن الثورة والثقافة معالجة لعلاقة الثورة بالثقافة، وأيهما أكثر تأثيراً فى الآخر، فهل الثورة وليدة حركة ثقافية أم أنها أوجدت نهضة ثقافية معاصرة. وأساس الخلاف يأتي من اتجاه لويس عوض إلى أن هناك فراغاً رهيباً التهم حياتنا الأدبية والفنية فى فترة الحرب العالمية الثانية، وما بعدها من سنوات حتى قيام الثورة^(١).

فيرى لويس عوض أن الأدب العربى فى مصر سقط فى فراغ بين ازدهارين كبيرين "القديم الذى صاحب ثورة ١٩١٩م ولازم مداها الثورى حتى غاص ذلك المد بتوقيع معاهدة ١٩٣٦، والجديد الذى جاء بمجيء الثورة ولم يكن قد ولد بعد، وكان هناك فى الفترة بين عامي ١٩٣٦م، ١٩٥٢م قديم لا يريد أن يموت، وجديد لا يستطيع أن يولد"^(٢).

وترد بنت الشاطىء على الفراغ الذى يراه لويس عوض بأنه من غير المنطقي أن يكون هناك ازدهار - أدبي أو غير أدبي - ينشأ من فراغ مجدب، فلا يوجد ازدهار عرفه التاريخ لم تسبقه طلائع مرهضة به، ممهدة له مستشرفة إليه، والمرحلة التي يراها لويس عوض فراغاً رهيباً، ترى بنت الشاطىء أنها من أخصب المراحل، وتضرب بنت الشاطىء الأمثلة على ذلك فتذكر له موقفها الثقافي الذي أتاحتها لها ظروف نشأتها، وقد نشرت لها جريدة الأهرام من عام ١٩٣٥م حتى عام ١٩٥٢م

(١) الثورة والثقافة وجهة نظر أخرى، جريدة الأهرام، ٦/٨/١٩٦٥م .

(٢) عن الثورة والثقافة بمناسبة العيد الرابع عشر لثورة ٢٣ يوليو، لويس عوض: جريدة الأهرام، ٢٣/٧/١٩٦٥م.

الثورة كثير من المقالات عن مأساة الفلاح، وظهر كتابها الأول في الريف المصري عام ١٩٣٥م ثم كتاب قضية الفلاح سنة ١٩٣٩م، وبعدها مأساة الإقطاع في سيد العزبة ١٩٤٤م، وقصة رجعة فرعون ١٩٤٩. كما تُذكر الكاتبة بدور أدباء مرحلة الفراغ - في نظر لويس عوض - ودور توفيق الحكيم في إيقاظ النيام، ويرهص بعودة الروح، وحديث طه حسين عن نظرية تكافؤ الفرص، وحق أبناء الوطن في التعليم كحقهم في الماء والهواء، كما ينشر أحاديث شجرة البؤس، وجنة الحيوان والمعدنين في الأرض، ولأمين الخولي رائد مدرسة الأمناء رائد المدرسة دور في تعبئة القلوب للثورة، ويبرم التونسي الذي ملأ وجدان الشعب بأزجاله ومواويله وأغانيه، ويوسف السباعي يكتب (أرض النفاق)، و(السقامات)، وكان عبد الحليم عبد الله يحفز الشعب بقصة (لقبطة، بعد الغروب)، وغيرهم من الأدباء.....^(١).

ولم تكف بنت الشاطىء بما أوردته من إنجازات عهد ما قبل الثورة، بل انتقلت للحديث عن الوعي الشعبي وروافده، تعني الأميين الذين جاوزت نسبتهم قبل الثورة سبعين بالمائة من مجموع عدد السكان.

هؤلاء لم يشعروا قط بما يسمى بالتقادم، ولم يعرفوا فكره، والذي يسجله الواقع والتاريخ أنه كان هناك ينبوع سخي لم يجف قط، يمد الشعب الأمي بالري الدائم، ويفيض عليه من منهله الصافي، ما يرهف وعيه من أجل وجود كريم، كان هناك القرآن الكريم يتلى في البيوت والأكواخ والمساجد والزوايا، وينفذ إلى أعماق القرى والنجوع.

كما كان هناك نبع آخر لثقافة الأميين متمثلة في الاجتماع الأسبوعي في بيت الله والتي لم يستطع الاستعمار أن يمارس سلطته عليها.

(١) الثورة والثقافة، وجهة نظر أخرى، جريدة الأهرام ١/٦/١٩٦٥م.

وأخذت بنت الشاطىء على لويس عوض عدم الاهتمام بالبيئات التي نشأ فيها الأدباء، واهتم فقط بالمناخ الفكري للمثقفين في مرحلة التحفيز الثوري، كما أبرزت دور الأزهر باعتباره مركز الثقل في حياتنا السياسية والفكرية، وتؤكد بنت الشاطىء أن مرحلة ما بعد ثورة ١٩١٩م، وقبل ثورة ١٩٥٢م لم تكن مرحلة فراغ بالمنطق والواقع، وهي التي بدأت بمظاهرات الطلبة ضد معاهدة ١٩٣٦م وامتد لحريق القاهرة عام ١٩٥٢م، وكان ذلك إيذانا بالثورة^(١).

فتلك المعركة الأدبية بدأت شرارتها من مقال لويس عوض والذي رأى أن الوعي الأدبي الثوري لم يظهر إلا بعد ثورة يوليو، وقبل ذلك كان قد هبط إلى هوة سحيقة كما سبق توضيح وجهة نظر الكاتب، وبنت الشاطىء التي درست مقاله عن الثورة والثقافة دراسة جيدة، وقامت بالرد في أكثر من مقال عن الثورة والثقافة معطية الأدلة المنطقية على استحالة وجهة نظر لويس عوض أن يكون هناك فراغ أدبي قبل ١٩٥٢، والمنطق العقلي هو من جعل وجهة نظر بنت الشاطىء الأقرب للصحة؛ حيث أوضحت نماذج مثل مقالها مأساة الفلاح، ورجعة فرعون، وقصص ومؤلفات كتاب كبار أمثال: طه حسين، وتوفيق الحكيم أن مرحلة ما قبل الثورة هي التي هيأت لثورة يوليو الظهور والنجاح.

ج - ولادة بنت المستكفي:

يدخل حديث ولادة وابن زيدون ضمن القضايا الأدبية؛ لما فيه من أشعار قالها ابن زيدون عن ولادة، وكانت ولادة صاحبة الرد بضعف هذا الشعر أو قوته، ولكن تعرضها بنت الشاطىء في إطار قصصي متداخلا مع شعر ابن زيدون.

(١) قيم جديدة للأدب العربي - القديم والمعاصر: عائشة عبد الرحمن: ط٢، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص ٢٧٠: ٢٨٠.

كتبت بنت الشاطىء مجموعة من المقالات عن ولادة بنت المستكفي وعلاقتها بالشاعر ابن زيدون وذلك تحت عنوان "الشاعر... والملهمة".

وبدأت تلك المقالات بالكتابة عن بعض المعلومات التي أشيعت عن ولادة بنت المستكفي والاتهامات التي ظلت تتبعها حتى الآن من انحراف خلقي. وتحاول بنت الشاطىء بترتيب منهجي عرض ما يدحض تلك الفرية عليها "ولست أدري من أين ساورني الارتباب، وقتذاك في تلك المقولات: هل كان لأنى رفضت بحدس الفطرة، أن يصل بحواء رخص الابتذال إلى أن تبصم على وشاحها البيت المشهور:

وَأَمَكُنْ عَاشِقِي مِنْ صَحْنٍ وَأُعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا^(١)

وبنت الشاطىء لا تتصور أن تكون حفيدة عبد الرحمن الناصر متشحة بوشاح فاضح مثل هذا وهم من شيدوا دعائم الملك في الأندلس.

وتبحث بنت الشاطىء في "ولادة" غادة قرطبة كما كان يطلق عليها وما لابن زيدون من محبة لها، وليس ابن زيدون فقط، ولكن قد خلبت عقول الشعراء والكتاب في ذلك الوقت. ولم تكن بنت الشاطىء ترى ولادة إلا أنها أميرة الأندلس، واتصالها بأبيها المستكفي الذي لم يهتم بتاريخ أجداده بناء الدولة، ولم يتخرج عندما تولى الدولة أن يفسد ويشرب الخمر وجعل لخلوته من العهر ما يجعله مستقبلاً من الجميع، كل ذلك استقبل الأميرة ولادة ومن غير شك قد أثر فيها لتتأثر بين تاريخ والدها السيئ، وتاريخ أجدادها العظماء "وقد استقبلتها الدنيا في مستهل القرن الخامس للهجرة والتاريخ يوشك أن يطوي كتاب بني أمية بالأندلس، الحافل بأمجاد دولتهم التي أرسى

(١) الشاعر والملهمة، جريدة الأهرام ١٩٨١/٢/٩م.

عبد الرحمن الداخلى قواعدها وأقام صروحها عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر، شامخة مهيبه" (١).

وقد تولى والدها حكم الدولة بعد المستظهر بالله الذي لم تمهله الفتنة إلا سبعة وأربعين يوماً، أحيط به فى قصر الملك وذبح، وتولى أبو ولادة الحكم وأطلقوا عليه المستكفي بالله سنة ٤١٤هـ، الذي لم يكن إلا بلاء على الأندلس وقد تم خلعها بعد سبعة عشر شهراً فقط، بعد أن آلت البلاد إلى الضعف وخرج منتقياً فى امرأتين لم يعرف منهما لمرانه على التخنت.

وفى ظل تلك الظروف تخرج لنا ولادة بنت المستكفي، وترى بنت الشاطىء أن هذه الأحداث هي من جعلتها تبيح حماها لمن يأترون بأمرها "فى مثل تلك الظروف التعسة لم يكن مستغرباً أن يخلت اتزان أميرة قرطبة بنت هذا المستكفي وأن تخرج إلى الحياة بعقدة بنوتها لأخس والد، مروعة الوجدان بما وعت من مبادل فجوره وعاهر خلوته وعار تخنته، فهان عليها أن تخرج على كل قيد وعرف، وأن تبيح حماها لمن يقدمون لها فروض الولاء ويصفونها ملكة متوجة على قرطبة التي شهدت مصارع آله" (٢).

احتار المؤرخون فى أمر ولادة، وكتب عنها ابن حيان الأندلسي وأشار إلى تفردا بحسن المنظر وحلاوة المورد والمصد. وكانت مجلسا يتوافد عليه الأدباء والشعراء لحلاوة عشرتها، وأنها لقله حرصها صرحت بملذاتها فى بيت شعر نسب لها يدل على النسب والحسب، وبيت آخر تصرح فيه بملذاتها والأول هو:

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتية تيهها (٣)،

وكتبت على الآخر:

وأمكن عاشقي من صحن وأعطي قُبَلتِي مَنْ

(١) المصدر السابق.

(٢) الشاعر والمهمة رؤية جديدة (١) (دعوة..... وطيف)، جريدة الأهرام ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٠م.

(٣) الشاعر والمهمة فى رؤية جديدة (قالوا..... وقال) جريدة الأهرام ١ / ٥ / ١٩٨١م.

ذلك ما قاله ابن حيان الأندلسي في ولادة، ولم تؤكد بنت الشاطئ صدق ابن حيان وتتبناً إلى الله من عهدة ناقله أو أي خطأ من الممكن أن يكون قد وقع فيه أديب من الأدباء.

وقال المقري عنها: "وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف، وفيها خلع ابن زيدون عذاره، وقال فيها القوائد الطنانة والمقطعات السائرة"^(٢)، وترى بنت الشاطئ تناقضاً بين سهولة الحجاب وطهارة الأثواب، وبين مبذول المتعة، ومشهور الصيانة والعفاف، وكذلك ترفض أن يكون البيتان من نفس واحد، فالبيت الأول تقول أنها تصلح للمعالي، والبيت الآخر لا يصلح أن يكون لامرأة تريد المعالي إذ تحب أن تمكن خدها لمن يشتهيها وليس لمن تحب، والقسم بالله في أول البيتين، لا موضع له في سياق ذلك التبدل الفاحش والفجور المعلن، ولفظ صحن خدي يظهر عن غلظ حس وجفاء طبع وكثافة وجدان، ولا شيء من ذلك مما وصفت به عادة قرطبة في إجماع الإخباريين.

واهدت بنت الشاطئ إلى أن البيت الثاني لا بد أنه لشاعر ماجن مجهول أقحم شعره مع بيت ولادة بنت المستكفي، وقرينة ذلك ما قدمه المقري من مقطوعة مشهورة لابن زيدون في وداعها، حيث قال: ودع الصبر محب ودعك.

وكذلك في ديوان "ابن زيدون" بيتان قال المقري إنهما لولادة وهما:

لِحَاظِكُمْ تَجْرَحُنَا فِي الْحَسَا وَلَحْظُنَا يَجْرَحُكُمْ فِي
جُرْحٍ بِجُرْحٍ، فَاجْعَلُوا دَا بَدَا فَمَا الَّذِي أُوجِبَ جُرْحَ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الشاعر والملمة في رؤية جديدة (قالوا..... وقال) جريدة الأهرام ١/٥ / ١٩٨١ م.

وأما عن حبها لابن زيدون، فلم يثبت عند بنت الشاطىء دليل على حبها لابن زيدون ثم هجرها له إلى منافسه ابن عبدوس.

وقال نثر ابن زيدون: "قلما طوى النهار كافوره ونشر الليل عنبره، أقبلت بقدر كالقضيب وردف كالكتيب، وقد أطبقت نرجس المقل على ورد الخجل، فملنا إلى روض مديح وظل سجسج.... وباح كل منا بحبه وشكا أليم ما بقلبه، وبتنا بليلة نجني أحقوان الثغور ونقطف رمان الصدور. فما انفصلت عنها صباحا أنشدتها ارتياحا:
وَدَّعَ الصَّبْرُ مُحِبًّا وَدَّعَكَ^(١)

وتنفذ بنت الشاطىء هذا النثر، وترى أنه ركيك الألفاظ ولا يتناسب مع ابن زيدون، مع أنه من الممكن الاعتذار له لأنه شاعر وليس كاتب نثر، ولكن تناقض الجمل مع بعضها يدعو لعدم تصديق الحدث من البداية؛ حيث جعلها تخجل وهي سارية إليه، وليس هذا موضع خجل؛ فهي ذاهبة في موعد هوى فمن أين يأتي الخجل، وما مجال الظل وهم في الليل، وتسخر بنت الشاطىء من هذا الكلام الذي يحمل الأضداد.

وديوان شعر ابن زيدون ممتلئ بالحب واللوعة لولادة بنت المستكفي، ومن ذلك قصيدته النونية التي حملت عنوان "ذكرى وصال" ولم يثبت أن ابن زيدون قد وضع ذلك العنوان أم هو من عند المؤلف.

ولاشك أن ولادة بنت المستكفي استطاعت أن تفتح للأمويين موقعاً جديداً في التاريخ تسجل فيه عصرًا من أزهى العصور الأدبية صنعت في ولادة أجبرت الجميع على الاهتمام بها والحديث عن عشقها ابن زيدون وابن عبدوس الوزراء، وتنافسهما في مجالسها في حبها فخرج من ذلك أدبٌ زاخرٌ قويٌّ، وكانت تحكم على الأشعار وتشعل نار المجادلات بين كتاب الشعر في حضرتها.

(١) المصدر السابق.

اشتعل المنافسة الشعرية بين الوزيرين أو الشعارين جعل ابن زيدون لا يستحسن ابتعاد ابن عبدوس عن مجلس ولادة؛ حتى لا يكون المجلس بغير منافس تشتعل به حلقة الجدل في الشعر.

وعلى ذلك حاول ابن زيدون التقرب من ولادة وإقناعها بالحياة معه، ولكن تشتت نفسية الأميرة بين أعرق نسب في بني أمية، وهذا الوالد المخنث جعل هناك حاجزاً نفسياً بينها وبين الزواج، فلم تتزوج من ابن زيدون كما لم تتزوج من غيره وعاشت حياتها وهي مصدر حيرة للكاتب، ومصدر حيرة لابن زيدون الذي قنع بالوجود جوارها في مجالسها.

ولم يمنع ابن زيدون عن حضور مجالس ولادة إلا ما فعله معه ابن جهور حين ألقى به في السجن، وأول ما أحزنه هو خلو الساحة لمنافسيه "وغاب الشاعر عن مجلس الأميرة فكأنما خيل إليه أن غيابه أفسح مجالاً في حلبة السباق لمن تضاعلوا زماناً أمام الفارس الغالب، وتمثلهم في مجلسها من بعده يتناولون بعد تواضع ويجترئون على الطموح إلى مكانته".

فقد صنع السجن في ابن زيدون صنعة جعله يكتب كلمات في ولادة أروع مما كان يكتبه خارج محبسه؛ لطول الشوق إليها وتمني لقائها فهو يقول:

رَمْتَنِي اللَّيَالِي عَنْ قِسِي النَّوَائِبِ
فَمَا أَخْطَأْتَنِي مُرْسَلَاتِ الْمَصَائِبِ
أَقْضِي نَهَارِي بِالْأَمَانِي الْكَوَادِبِ
وَأُوي إِلَى لَيْلِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ^(١)

وهرب ابن زيدون من السجن ولكنه لم يجرؤ على الظهور لخوفه على حياته حتى مات أبو الحزم ابن جهور، وتولى ابنه أبو الوليد الذي أعاده إلى منصبه مرة

(١) مقال الشاعر والملهمة (٥)، جريدة الأهرام ٢/٢ / ١٩٨١م

أخرى، ومع عودته إلى بلاده ومنصبه يعود إلى مجلس الحبيبة ولادة وكانت عودة قوية بعد أن استرد حقه، وتلك عودة يسكت بها أفواه من استتسروا عليه في غيابه. ومن ذلك ما بدأ به في رسالته الهزلية ضد ابن عبدوس منافسه في ولادة، وكذلك ختمها ببيت للمتنبى، ففي مقدمة لقصيدة له كتب قول المتنبى:

وَلَسْتُ بِأَوْلِ ذِي هِمَّةٍ دَعْتَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ.

وختمها بقول المتنبى:

فَمَنْ جَبَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(١)

وتلك الأبيات مبدأ وختام رسالة هزلية في ابن عبدوس أصبحت فيما بعد زاد السمار في المجالس والدور والأسواق لم تؤخذ عندهم مأخذ الجد، وقد أخذها مأخذ الجد ثلاثة هم: "ولادة: وقد رأيت أن ابن زيدون بما أملت له طويلاً، قد اشتط وجاوز المدى، وابن عبدوس وقد أيقن أن الأمر جد لا هزل فيه. وابن زيدون وقد عني كل ما قاله في صاحبه ونقم عليه أن رآه أقرب إلى مودة ولادة، وإن تخلى له عن مكان الشاعر المقدم"^(٢).

اشتعال الصراع على ولادة جعل ابن زيدون يخرج أحسن ما في قدحه من شعر؛ لكي يظفر بالقرب من ولادة أميرة قرطبة. ولكن دخل اليأس إلى نفس ابن زيدون من كثرة صدود ولادة عنه، ولكنه ظل محاولاً التقرب فقال:

لَيْتَ قَصَرَ الْيَأْسُ مِنْكَ الْأَمْلُ وَحَالَ تَجَنُّبُكَ الْحَيْلُ
وَرَأَقَكَ سِحْرُ الْعِدَا الْمُفْتَرَى وَغَرَّكَ زُرُوهُمْ الْمُفْتَعَلُ
فَإِنَّ زِمَامَ الْهَوَى لَمْ أَزَلْ أَبْقِيهِ حِفْظًا كَمَا لَمْ أَزَلْ
فَدَيْتُكَ أَنْ تُعْجِلِي بِالْجَفَا فَقَدْ يَهَبُ الرِّيثُ بَعْضُ

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

أَلَمْ أَلْزَمَ الصَّبْرَ كَيْمَا أَخْفَ أَلَمْ أَكْثِرَ الْهَجْرَ كَيْمَا أَمَلْ
أَلَمْ اغْتَفَرَ مُوبِقَاتِ الذُّنُوبِ عَمْدًا وَدَعَّ هَوَى مَاتَ قَبْلُ
وَمَا بِاخْتِيَارٍ تَسَلَّيْتَ عَنْكَ وَلَكِنِّي مُكْرَهُ لَا بَطْلُ (١)

وهذا البطل قرر أن يترك مجلس ولادة لكثرة صدودها وبعدها عنه على حبه لها، وبعد تركه لها أرسل رسالة تتم عن حسرة دفينة لفراق ولادة ولكنه يخفيها خلف سبه وتقريعه لها لجعله يتركها وأعلمها أنه وجد البديل.

وَك وَقَدْ تَكُونُ وَمَا يُخْشَى
نَكَادُ حِينَ تَتَأَجِبُكُمْ قَالِيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى
حَالَتْ بِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَعَدَّتْ يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلَّغْ سُودًا، وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا
مَنْ لَوْ عَلَى الْقُرْبِ حَيَّ

وفارقت ولادة الحياة في الثالث من صفر عام ٤٨٤ هـ وظل الناس في حيرة من أمرها مع ابن زيدون، ونظر لها المؤرخون نظرات مختلفة ما بين الاحترام والابتدال. لعل اهتمام بنت الشاطئ الأدبي كان يتطرق إلى نقد العديد من الكتب المعاصرة لها مثل نقدها لكتاب الفتنة الكبرى لطف حسين في مقال "حول الفتنة الكبرى" ١٩٥٣/٦/٢م، وعرضها للكتب النقدية مثل مقالها "عرض كتاب في النقد الأدبي تاريخ نقد المدارس النقدية ودراسات في الأدب العربي" ١٩٥٣/١٠/٥م، وتداخل معارك نزالية أدبية بين كتاب عصرها مثل ردها على العقاد في مقالها "يا أستاذ عقاد... اللهم إني صامته" ١٩٦٠/٣/٢م و"تواصل الرد على العقاد" ١٩٦٠/٤/١٠م، فقد قدمت بنت الشاطئ على صفحات الأهرام العديد من الآراء النقدية والمناقشات

(١) مقال الشاعر والملهمة (٥)، جريدة الأهرام، ٢/٢ / ١٩٨١م.

(٢) مقال الشاعر والملهمة (٥)، جريدة الأهرام، ٢/٢ / ١٩٨١م.

الأدبية، ومن ذلك مقالها عن الأربعة الكبار، ومقالاتها عن ولادة بنت المستكفي لم تكثف بالعرض التاريخي للقصة بل اهتمت فيها بعرض الآراء النقدية عن ولادة بنت المستكفي، والظروف التي جعلت تلك الشخصية تتكون هذا التكوين، وحاولت بالأدلة أن تنتصر لولادة وتنقيها من التهم التي أشيعت عنها.

إذن فقد حاولت بنت الشاطئ أن تستفيد من تلك المقالات بأكثر من طريق فالأول عرض أدبي لعلاقة الحب التي جمعت بين ابن زيدون وولادة وما أثمرت عنه تلك العلاقة من أشعار، والدفاع عن المرأة في شخص ولادة وإظهار عفة المرأة الفطرية والتعارض بين ما كتبه المؤلفون عن صفات ولادة الخلفية وتأثرها بوالدها، وعرض المقدرة الأدبية لولادة بنت المستكفي في نقدها لأشعار الشعراء في صالونها الأدبي الذي كان يتوافد عليه كثير من الشعراء وأهمهم الوزيران العاشقان ابن زيدون، وابن عبدوس.

المصادر والمراجع

أولا المصادر :

١. أفكار الكبار على معايير الانتقال بين الأمس واليوم الأهرام ١٩٨٠م
٢. الثورة والثقافة وجهة نظر أخرى الأهرام ١٩٦٥م
٣. الشاعر والملمهة الأهرام ١٩٨١م
٤. الشاعر والملمهة رؤية جديدة (١) (دعوة..... وطيف) الأهرام، ١٩٨٠م
٥. الشاعر والملمهة (٥)، الأهرام، ١٩٨١م
٦. الشاعر والملمهة في رؤية جديدة (قالوا..... وقال)، الأهرام، ١٩٨١م

ثانياً المراجع :

١. أحمد أمين: النقد الأدبي في جزأين، جزؤه الأول في أصول النقد ومبادئه، وجزؤه الثاني في تاريخه عند الأفرنج والعرب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م
٢. السيد أبو ذكري: المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م.
٣. صابر حارص: فن كتابة المقال العمودي في الصحافة العربية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.
٤. عائشة عبد الرحمن: قيم جديدة للأدب العربي - القديم والمعاصر، ط٢، دار المعارف، ١٩٧٠م
٥. عبد القادر رزق الطويل: المقالة في أدب العقاد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦. لويس عوض: عن الثورة والثقافة بمناسبة العيد الرابع عشر لثورة ٢٣ يوليو، مقال بالأهرام ١٩٦٥/٧/٢٣م.س